
سعدي يوسف
غرفة شيراز
التكوين

غُـرْفَـةُ شِـيراز

شِعر

سعدي يوسف

2011

إهداء

إلى كريم راهي
حيث اكتملت المجموعة هذه في شقّته الضيّقة ، باستكهولم.

غِـبْـطـةٌ

أصابعُ القَدَمِ اليسرى ، تُنَمِّلُ ...
جسمي واهنٌ
وعلى مَشْتى البسيطةِ ،كان الليلُ
أطولَ حتى من مُعَلَّقةِ امرىء القيسِ
كان الليلُ ...
....
....
....
أنهضُ
أخطو
أنثني وجِلاً ، مستَنفَداً ، صوبَ شُبّاكي
وألـمُسُـهُ
لعلَّ روحَ الزجاجِ ....
....
....
....
الليلُ يَثْخُنُ
حتى في البحيرةِ أمسى الماءُ
لوحَ رصاصٍ .
لا أرى أحداً في البُعْدِ
لا ضوءَ
لا نَوءَ
لا أغصانَ ....
أدخلُ في بعضي
أُلَمْلِمُ ، مثلَ المصطفى ، الخُصُلاتِ البِيضَ
أضفِرُها
تاجاً
وآوي إلى عرشي
وأغتبِطُ .

لندن 19.10.2010

محطّةُ قطارِ أَكْسِبْرِجْ

تغمغِمُ إذْ أُقَبِّلُها طويلاً

على بابِ المحطّةِ ...

ثم تمضي ، وقد سحبَتْ حقيبتَها القماشَ

ولم تقُلْ حتى وداعاً ...

أتحسَبُ أنني قد ضِقْتُ ذَرْعاً بها ؟

واللهِ

سوف أظلُّ آتي

إلى بابِ المحطّةِ ...

سوف أبقى هنالك ثابتاً

ليلاً

نهاراً

فقد تأتي ، وقد شَدّتْ بحبلٍ ، حقيبتَها القماشَ .

....

....

....

أُحِبُّ لِيْزا !

لندن 04.10.2010

المَقْتَلـةُ

أحاولُ أن أنسى
أحاولُ غفلةً ، ولو ساعةً أو ساعتَينِ ...
كأن في عروقي يدورُ الدِيناميتُ مُوَقّتاً
وأنّ دبيبَ النّبْضِ قد بلَغَ الأقصى ...
أأنظرُ في المِرآةِ ؟
أَمْ أن شاطىءَ البحيرةِ مِرآتي التي أتأمّلُ ؟
الخريفُ يدقُّ البابَ :
اصفرَ
أحمرَ
ارتعاشاً بْرونزيّاً
ووردا ً ،
أُحاولُ ...
....
....
....
السفينةُ في مَرسى القراصنةِ
الغزالةُ الآنَ في الـمَرمى ...
وإني أُحاوِلُ ؟

لندن 04.11.2010

الـمُحاكَـمة

للّذينَ ارتضَوا أن يكون العراق
فندقاً عائماً لا بلاداً .
للّذين ارتضَوا أن يكون العراق
جبلاً من دشاديشِ غرقى.
للذين ارتضَوا أن يكون العراق
سوارَ العشيقةِ ...
أن تمسيَ البصرةُ الأُمُّ مبغى الخليجِ
وأن تتنصّلَ بغدادُ من إسمِها ...
للّذين ارتضَوا أن يكونوا الأدِلاّءَ
أن يَهَبوا كلَّ ما كنَزَتْ أرضُنا للغريبِ المدجَّجِ
أن يعبِدوا أبرَهةْ
أن يقولوا : العراقَ انتهى ...
....
....
....
هؤلاء
سوف أجمعُهم ، ذاتَ فجرٍ ، بمقهىً على جَزْرةٍ بالفراتِ
وأحفرُ أسماءَهمْ في جماجمِهِم
وهمُ الصاغرون ...

لندن 12.11.2010

أواخرُ أيلول

وهاهوذا الغيمُ ، تَدفَعُ قُطعانَ حِيتانِهِ والخيولِ التي تترنّحُ ، ريحٌ شماليّةٌ
والطيورُ تهاجرُ
منذ الصباحِ الطيورُ تهاجرُ
منذ أن خلَقَ اللهُ تلكَ السماءَ ، الطيورُ تهاجرُ ...
ما كان قبلَ دقائقَ بحراً مُحِيطاً تَدافَعُ حيتانُهُ والخيولُ استوى حاجزاً من دخانٍ وماءٍ ثقيلٍ
ولكنّ تلك الطيورَ التي بدأتْ في الصباحِ تهاجِرُ
ظلّتْ تهاجرُ .
هل تبصرُ الطيرُ ما نُبصرُ :
البحرَ ؟
حيتانَه
والخيولَ
وذاكَ الدخانَ
وماءَ السماءِ الثقيلَ ؟
وهل تعرفُ الطيرُ
أنّا هنا ،
سجناءُ منازلِنا الحجريّةِ
ذاتِ الحدائقِ ؟
أنّا هنا ،
الموثَّقونَ إلى طينِ أجسادِنا ؟
وهل تعرفُ الطيرُ
أنّا هنا
الزائلون؟

لندن 20.09.2010

هل التبَسَ عليّ الليلُ ؟

ليسَ لديّ الليلةَ ما أتذكّرُهُ
ليس لديّ حقائقُ :
أعني ، مثَلاً ، أنّي لا أتذكّرُ أين وُلِدْتُ
أو أنّ الخبزَ ضروريٌّ ...
أو أنّ شيوعيّةَ ماو تسي تونغ هي الأجملُ !
أحياناً ندخلُ في نفَقٍ يدخلُ في أنفاقٍ
هل نتفكّرُ ؟
رُبّتَما كان الخيرُ لنا ألاّ ندخلَ في النفقِ الأوّلِ ...
ربّتما كان الخيرُ لنا أن نهتفَ :
إن شيوعيّةَ ماو تسي تونغ هي الأجملُ!
أو أنّ شعارَ مظاهرةٍ هو :
نحن نريدُ الخبزَ ...
وربّتما كان عليّ ، تماماً ، أن أتذكّرَ أينَ وُلِدتُ ،
عليّ القولُ :
وُلِدْتُ جنوبيّ البصرةِ
في بلدٍ ،كان يُسَمّى في المخطوطاتِ، عراقاً ...
(لا أدري كيف أُسَمِّيه الآنَ)
علَيّ القولُ :
دمي من أجْلِ عراقٍ لا يحكمهُ الأميريكيّون ...

لندن 14.11.2010

رباعيّـةُ الضوءِ البعيـدِ

(1)

ضوءٌ بعيدٌ بين أغصانٍ مُعَرّاةٍ ... أرى من فُرجةٍ في منتهى الصِّغَرِ
انثَنَتْ وسطَ الستارةِ ، لَمْحَ ذاك الضوءِ . كان الليلُ يَنتصفُ .
الحديقةُ تختفي.أشباحُها الأغصانُ عاريةً . أُحِسُّ على ذراعي لَسْعةً.
أتكونُ من بردٍ ، أم الأشباحُ وهيَ تَنوسُ تُرعبُني ؟ أَم الضوءُ البعيد؟

(2)

مُحَدِّقاً في عَتمةِ الزمنِ .انتبهتُ ... أكانَ ذاك الضوءُ يأتي من زمانٍ
سالفٍ ؟ من نقطةٍ فُقِئَتْ على إحدى المَجرّاتِ ؟ الحديقةُ
لا ضياءَ بها . وفي البُعْدِ البحيرةُ لاءمَتْ أمواهَها في البردِ والتمّتْ.
أصيّادون ؟ هل ذئبٌ يُقَضْقِضُ عُصْلَهُ؟ أم أنني أتوهَّمُ الأشياء؟

(3)

لكنّ هذا الضوءَ يأتي . بل أكادُ الآنَ أَلْمُسُه .يكادُ الضوءُ
يلسَعُ عينيَ اليُسرى.أغادرُ فَرْشَتي ، وأُطِلُّ بين ستارتَينِ.
الضوءُ غَمّازٌ ، وتلك الدوحةُ الجرداءُ تُفْسِحُ مَنفَذاً .أحسستُ
أنّ زجاجَ نافذتي المُضاعَفَ صارَ فضّيّاً ، وأني في المَدار.

(4)

يا مرحباً !
يا مرحباً بكَ ، أيها الضوءُ البعيدُ ، شقيقُ روحي !
مرحباً !
والآنَ أتبَعُكَ ...
السبيلُ إليك أنتَ.
النورُ يجعلُني خفيفاً ، طائراً
والنورُ يجعلُني شفيفاً .

....

....

....

لحظةً ، وأكونُ خارج بُرجيَ الحَجريّ .

سوف أكونُ أنت!

لندن 19.11.2010

مياهٌ تَعِجُّ بالكواسِـج

السماءُ التي تَدَّني غيمةٌ من رصاصٍ وزئبقْ.
كانت الأرضُ في البدْءِ
ماءً
ورملاً يَشِفُّ مع الضوءِ ماءً .
أجئتَ إلى الشاطىء المتوحِّشِ مِن قَبْلُ ؟
هل أدركتْ مقلتاكَ الطريقَ أم القدمان تقودانِكَ ؟
الآنَ
أنتَ هنا ...
وعليكَ العبورُ :
إلى أينَ ؟
حتى الإلهُ الذي كان سَوّاكَ
يعرفُ أن العبورَ الذي لا يؤدِّي ، هلاك ...
....
....
....
لِتَقُلْ :
فَلْيَكُنْ !
والمياهُ التي ضَحْضَحَتْها الكواسجُ
سوف تظلُّ المَخاضةَ
حتى الوصول ...

لندن 20.11.2010

الرّسُّ النّغْلُ

قالوا :
أكنتَ تريدُ أن تغدو الشهيرَ
وأنت تعزفُ أسطوانتَكَ " الشيوعيّ الأخير ... ؟ "
لقد ملَلْنا !
منذُ أن دُفِنَتْ لينينغراد في صحراءِ نيفادا
تبدّلت الأمورُ
ولم تعُدْ ، أبداً ، معادَلةَ الشيوعيّين ضدّ الرأسماليّين ...
قالوا:
أيّها المُدَّثِرُ المقرورُ
قُمْ
وانظُرْ تَرَ العجَبَ ...
....
....
....
البسيطةُ أتلَعَتْ رِسّاً جديداً
ليس من أصلٍ
ولا فَصْلٍ ، لهُ ...
رِسّاً لئيماً يقتلُ العمّالَ حتى في مناجمِهم ...
يُبيدُ نباتَ هذي الأرضِ ، شعباً بعدَ شعبٍ
مِلَّةَ الإسلامِ
زولو
أُمّةَ الأزتيكِ
والمايا
عراقيّين
صابئةً ، بَهائيّينَ ، أنباطاً
فلسطينيّةً ...
يا أيّها المُدَّثِّرُ المقرورُ
غَيِّرْ أسطوانتَكَ
الأمورُ تغَيَّرَتْ !
لندن 21.11.2010

متفائلاً أحيـا

يموتُ الشيوعيُّ
لكنّ حُلْمَ الشيوعيّ أجملُ من أن يموت ...
البيوتُ لساكنِها
والحقولُ لحارثِها
والأغاني لِمَن لا يُطيقُ السّكوت...
....
....
....
إذاً : لن يموتَ الشيوعيُّ
إنّ الشيوعيّةَ الحُلْمَ أبعَدُ من أن تموت ...

لندن2010. 06.12

مُتَوازيات

لا تعاتِبْني ، وإلاّ سِرْتُ عن كُلِّ المُكَلاّ
(واعتذاري من أبي بَكْرٍ) وإنْ كانَ استَهَلاّ !
سوف تأتي عدَنٌ ، هادئةً في موجةٍ ،
شِيحاً،
وكاذِيّاً ،
و فُلاّ ...
ونساءً يرتدِينَ النَدَّ ، والخُضرةَ ، والدِّرْعَ شفيفاً
وأفاويهَ المُكَلاّ.
عدَنٌ تسكنُ ما أسكنُهُ حتى وإنْ أوطأْتُ ظِلاّ ...

*

لَكأنّ هذا الثلجَ يهبِطُ منذُ آبادٍ ، كأنّ الثلجَ
يكتبُ هذه الدنيا ، ويُعْلِنُها له ، بيضاءَ ، مملكةً
كأنّ العشبَ والأشجارَ والأطيارَ لم تكُنِ ...الهواءُ
يَشِفُّ ، لكنْ ليسَ من متنَفّسٍ . قمرٌ كبير .

*

هل أرى ، ثانيةً ، ما كان يُسْمى ساحلَ العشّاقِ ؟
كانت عدَنٌ تصنعُ في الليلِ نهاراً غامضاً . كانَ الهواءُ
الرّطْبُ سِرّيّاً . زهوراً وثماراً إستوائيّاتٍ . الليلُ
ثخينٌ . سوفَ نمضي في مضيقِ الحُبّ والفودكا عميقاً.

*

من أين يأتي كلُّ هذا الصمتِ ؟ حتى الريحُ صامتةٌ.
ومَن أسْمَيتُهُم بَشَراً ، وجيراناً ، كما في أيّما لُغَةٍ
تبَدَّوا مثلَ ما بدت التماثيلُ الغبيّةُ . ليس يُرجى الصوتُ
ممّن ظلَّ يحفرُ قبره متمهِّلاً . والثلجُ عادَ الآنَ يسقطُ.

*

لا تَقُلْ : قد ذهبتْ (في ما يُسَمّى عرَباً بائدةً ، أو في الأغاني)
عدَنٌ ...
نحن ،و أعني فقراءَ الأمّةِ ، اخترْنا لها أن تغدوَ الغايةَ والمسرى.
بنَيناها كما تبني ذراعٌ أختَها.

سوف نراها مثلَ ما شِئنا لها :

شِيحاً،

وكاذِيّاً ،

و فُلاّ ...

ونساءً يرتدِينَ النَدَّ ، والخُضرةَ ، والدِّرْعَ شفيفاً

وأفاويهَ المُكَلاّ.

....

....

....

سنراها عدَناً !

*

والثلجُ يدفِنُ في الشمالِ البربريّ ، الناسَ والتاريخَ ...

يدفِنُ ظِلَّهُ

وضَبابَهُ ،

الثوراتِ

والكتُبَ العظيمةَ

حيثُ كانت ، فكرةً ، أو هاجساً ، عدَنٌ ...

لندن 07.12.2010

* أبو بكر هو أبو بكر سالم ، والبيت الأول من مستهَلّ أغنيةٍ له

La Gare du Nord
محطّةُ الشّـمال

قبلَ أن نتحمّلَ عِبْءَ المحطةِ ،بين الحقائبِ والسائرين إلى حتْفِهِم دون أن يَعْلَموا ،
كنتُ أعرفُ أنّا (وأعني أنا والتي كنتُ أحبَبْتُها) سائرانِ إلى سكّةٍ
لن تصِلْ.
كنتُ أعرفُ أنّ محطّة باريس ، سوفَ تكونُ الأخيرةَ . لن نعرفَ الفجرَ ثانيةً ،
بينما
نحن معتنقانِ على قهوةٍ بالحليبِ ، وخُبزِ الأهِلّةِ ...
ذاكَ المساءَ الأخيرَ
(وأعْني الذي قبلَ صُبحِ المحطةِ)
ألقيتُ نفسي ، ثقيلاً كلَوحٍ ، على مَتْنِ ذاك الفِراشِ بفندُقِنا ...
ثمّ نِمْتُ .
لم أكُنْ أتصَوّرُ ،
لم أكُنْ أتصوّرُ جِيزيلَ كانت تريدُ ...
ولكنّ جيزيلَ تعرفُ كم كنتُ أضعفَ من نملةٍ !
إنّ جيزيلَ تعرفُ كم كان أرهقَني الحفْلُ : تلك القراءةُ
ذاك الأسى
وإلى آخرِ الحفْلِ ...
....
....
....
والآنَ
من بَعْدِ سَبْعٍ
سأذكرُ أنّا افترقنا ، بلا سببٍ ، في المحطّةِ .

لندن 19.11.2010

عِـنـاد

إلى أين تذهبُ هذي الطيورُ ؟
المساءُ الذي يَكْفَهِـرُّ يُغادِرُ ما كانَ يُسْمى السماءَ
لقد همَدَ الكونُ ...
تلك الطيورُ التي ذهبتْ لم تَعُدْ تملأُ اللوحةَ.
الكونُ أعمى
ولكنني سأُلَمْلِمُ نفسي
وأشلاءَهُ
سوفَ أُبْرِيءُ ذاك العمى
وأتابعُ تلك الطيورَ التي ذهبَتْ
في مساءٍ
بلا رقّةٍ أو سماء .

لندن 11.12.2010

طُهْرٌ

لِكَسْتَناءِ الضواحي اشتقتُ في سفَري
لا نخلةُ اللهِ شاقَتْني
ولا الأَثَلُ
ولا ذوائبُ لَبلابٍ
ولا قمرٌ يلاعِبُ الماءَ ...
قالوا : ثَمَّ فاخِتَةٌ تأوي إليكَ مساءً ،
قلتُ : مُنْتَبذي مأوى العذارى ذواتِ الريشِ
لا قِططٌ قد آنَسَتْني
ولا ليلى تُرَطِّبُ لي مَتْنَ الفِراشِ
فلا نُعْمى
ولا قُبَلُ ...
كأنّ قُطْنَ فراشي حينَ ألمُسُهُ
سجّادةٌ بالبياضِ المَحْضِ تحتفلُ !

لندن 19.05.2005

خطوطٌ سريعةٌ في الليلِ القُطْبيّ

قمرٌ مكتملٌ
يهبِطُ في المَرسى ، حيثُ قواربُ مخبولِينَ تفوحُ مداخنُها
بِبَخورِ الغاباتِ المقطوعةِ .
منذ ثلاثِ ليالٍ أمسى الماءُ الضّحضاحُ جليداً
وارتحلَ الصيّادونَ .
البطُّ الوحشيُّ يُحَصِّنُ ، ليلَ نهارَ ، صوامعَهُ
والأسماكُ التصَقَتْ بالقاعِ.
القمرُ المكتملُ استنفَدَ شمْعتَهُ
ومضى ، مثلي ، يتخبّطُ في التيه.

لندن 19.12.2010

جـدَلٌ ؟

آنَ أُمسي وحيداً
في الضواحي الغريبةِ
في مِثْلِ هذا المساءِ الذي يتضوّعُ بالثلجِ
هذا المساءِ الذي لا أرى نجمةً فيهِ أو شمعةً ...
ليس لي أن أُحَدِّقَ في البُعْدِ
كي ألـمُسَ النجمَ ،
ليس عليّ اشتواءُ يدي لأرى شمعةً .
هكذا ، ليس صعباً عليّ اعترافي بأني وحيدٌ
(لأنيَ ، فعلاً ، وحيدٌ !)
ولكنني
مثل أسلافيَ الخاطئينَ
سأُعلِنُ هذا المساء
أمامَ الحديقةِ مهجورةً
والعصافيرِ مقرورةً
أمام قميصِ التي رحلتْ ، بغتةً ، دونَ أن تتذكّر أحلى قميصٍ ...
أمامَ السناجبِ
والثعلبِ المتضوِّرِ ...
أُعلنُ :
لستُ الوحيد !

لندن 21.12.2010

ترنيمـةٌ للميلاد

أطْبِقْ جَفنَيكَ
لتسمعَ .

أطبِقْ جفنَيكَ
لتفتحَ باباً سِرِّيّاً في القلعةِ .

أطبِقْ جفنَيكَ
لتدخلَ بستانَ الخشخاشِ البرّيّ ...

الليلةَ لن تَتَنَزَّلَ روحٌ
لن تأتيكَ ملائكةٌ في هيأةِ طَيرٍ
لن تسمعَ قيثاراً
أو أجراسَ لُجَينٍ في الماءِ
ولن تلمحَ غزلانَ الرنّةِ في السهْبِ الأبيضِ ...

هذي الليلةَ
تُطْبِقُ جفنَيكَ لِتُبْصِرَ .
أطبِقْ جفنَيكَ
ولا تستيقظْ
إلاّ عندَ صياحِ الديكِ الذهبيّ !

لندن 24.12.2010

الزيّاديّة

ستبقى هنا ، تتأمّلُ ساحةَ ثلْجٍ وموتَى وأغْرِبةٍ .
للفصولِ قراءاتُها
وكذلك للنبْضِ ...
لكنّك الآنَ تُطْبِقُ ما كتبَ الثلجُ
تُطْبِقُ ما كنتَ تكتبُ
أو تتفكّرُ .
أنت ، المُقَلْقَلُ ، تركضُ :
شطُّ العربْ
غيضةُ الكَرْمِ في النهرِ
أبناءُ خالتِكَ ...
الآنَ تركضُ ، مُهْراً ، على الشاطىءِ.
الآنَ تلْقي بنفسِكَ في الماءِ ، ذاكَ الدفيءِ
وتمضي بعيداً إلى حيثُ تدخلُ قَصْباءَ
أنتَ تُغافِلُ حُرّاسَ إيرانَ
....
....
....
ساحةُ ثلجٍ وموتى وأغربةٍ ...
ثمّ يأتي الشميمُ :
لقد كنتَ ترقدُ تحت الغصونِ الكثيفةِ
دوحةُ تينٍ
ظهيرةُ صيفٍ ...
شراعٌ وحيد !

لندن 25.12.2010

يوم القيامة الأبيض

متحصِّناً خلفَ الزجاجِ ، أراقِبُ المَمْشى يغيبُ
الساحةَ القَوراءَ تُقفِرُ
والصنوبرةَ التي كنتُ ازدرَعْتُ تصيرُ بيضاءَ ...
العناكبُ لم تَعُد ، لكنّ ما تركَتْهُ من وَشْيٍ بَدا مثلَ الزجاجِ مُعَنْقَداً
ماساً خفيفاً قد يُزَيِّنُ جِيدَها (تلكَ الأميرةَ) .
ليس من صوتٍ
كأنّ الريحَ تحمِلُ كلَّ هذا الثلجِ متعَبةً .
كأنّ الأرضَ تنتظرُ النهايةَ ، مَدفَناً تحتَ البياضِ .
كأنني وحدي أتابعُ مشهدَ اليومِ الأخيرِ ...
....
....
....
أليسَ من أمَلٍ لنا ؟
فقراءُ هذي الأرضِ ، نحنُ ...
ستنتهي الدنيا ، ولم نفرَحْ بها يوماً
ولم تَفرَحْ بنا !
فَلْيأتِ هذا الثلج
كلُّ الثلجِ ...

لندن 18.12.2010

مرثيّةٌ للشيخ خزعل

ستظلُّ " كُوتُ الزّينِ " تومىءُ ، في الظلامِ اللندنيّ ، إليّ :
كَوناً من بساتينِ النخيلِ ، ومن ضَبابِ النهرِ . كان الشيخُ
خَزْعَلُ في " المُحَمّرةِ ". التميميّون من كنعانَ كانوا
في قِلاعِ الطينِ ، أعني في منازلِهم بـ " كوتِ الزَّينِ " ،
يَرْتَصّونَ : خَطٌّ للدفاعِ عن العراقِ الأوّلِ العربيّ ...
" كوتُ الزّينِ " نحنُ ، ومِثلُها تلكَ " المُحمّرةُ ".
الأنينُ الآنَ يَعبرُ من هناكَ إلى بيوتِ تميمٍ . الشيخُ التّقِيُّ
يموتُ مسموماً بما مَحَضَ الطبيبُ الإنجليزيّ. الأنينُ يغورُ
حتى يبلغَ الآبارَ في " باب الزُّبَيرِ ".سيستريحُ الشيخُ خزعلُ
من سلاسلِهِ ، ولكنّا سندخلُ في سلاسلنا الجديدةِ .
دجلةُ العوراءُ قد عَمِيَتْ
وجاءَ الإنجليزُ .

لندن 26.12.2010

الآتـون

أنت لن تبصرَنا في المَنْزَهِ السادسِ
لن تسمعَ في " شارع باريسَ " أغانينا التي تبكي
ولن تلمُسَ في قِرطاجَ جمرَ الجوعِ والحُمّى ...
لقد ضاقتْ بنا الدنيا إلى أن عَذُبَ الموتُ
إلى أن أصبحَ المَقْتُ هواءً
أيّ وردٍ سنرى في وجنةِ الطفلِ الإلهيّ ؟
فهل نستمطِرُ الصخرَ ؟
وهل نعصِرُ ممّا جَفَّ من أعراقِنا كوبَ حليبٍ ؟
غيضةُ الزيتونِ باعوها فأمستْ حطباً للموقدِ ...
البحرُ لقُرصانٍ
وأعنابُ البلادِ اعتُصِرَتْ خمراً لسوّاحٍ صليبيّينَ أوباشٍ
وها نحنُ أولاءِ
الناس
منسيّينَ
منفيّينَ في أحوازِنا ،
لكننا آتونَ ...

لندن 12.01.2011

شجرة مطّاط

لا تلمُسْ أوراقَ الشجرةْ
لا تلمُسْها ... أرجوك !

هذي الشجرةْ
هي للطاهرِ وَطّار ...

وأقولُ لـ " حِزْزِ الله "
أقولُ لـ " رزّاقي "
تحديداً :
ليس لأيٍّ من إنْسٍ أو جِنٍّ ، حقٌّ في أن يلمُسَ هذي الشجرةْ !

الناسُ يقولون :
الطاهرُ
كان يُكاثِرُ أشجارَ المطّاطِ ...
حسناً !
لكنّ الطاهرَ ما كانَ يُكاثِرُ مالاً
والطاهرُ لم يجمعْ مالاً لِيُعَدِّدَهُ ،
إن الطاهرَ في أرضِ الشهداءِ المنسيّينَ
وَلِيٌّ .

والآنَ أقولُ لِرزّاقي
رزّاقي تحديداً (وهو ابنُ شهيدٍ) :
يا رزّاقي
إنْ زرتَ البيتَ المُخْضَرَّ عميقاً من أشجارِ المطّاطِ
بيتَ الطاهرِ
حيثُ شرِبْتَ نبيذاً ورديّاً في رَمضان
فلْتقرأْ :
إن الطاهرَ صوتُ الله !

لندن 16.01.2011

الواصليّة

هي بين الزّبّاديّةِ ، خضراءَ ، و كُوتِ الزَّينِ
أراها الآن كما كانتْ :
مرسى عوّاماتٍ خمسٍ
(أتكونُ ثلاثاً ؟)
هي مأوى مَن يُرشِدُ كلَّ السفنِ البحريةِ إذ تدخلُ شطَّ العربِ
لا أدري كيفَ دخلتُ إلى إحدى العوّاماتِ ...
صعبٌ أن أتذكّر ...
قد مرّتْ خمسون من الأعوامِ ...!
ولكني أتذكّرُ كيف استقبلَني مرشِدُ تلك السفنِ البحريّةِ :
قالَ : البحرُ هنا
(وأشارَ إلى الطاولةِ)
الوقتُ مساءٌ رطِبٌ
(في البصرةِ ، كلُّ مساءٍ رطِبٌ)
كان على مائدةِ المرشدِ عبدِ اللهِ الديراويّ
نبيذٌ
وزجاجةُ وِسكي
White Horse
وثمّتَ روبيانٌ
وشرائحُ حبّارٍ
جُبْنٌ
وبقايا عرَقٍ ...
قال الديراويُّ :
لنبدأْ ...
....
....
....
هل أهذي الآنَ ؟
تُرى مَن سيُصَدِّقُني ؟

لندن 18.01.2011

زهرةُ النَّوّام

يَمُرُّ " أبو الخصيبِ " كما تمرُّ النوارسُ
ليتَها هدأتْ قليلاً
لأعرفَ كيفَ أذكُرُها ...
فأُذْني الذراعَ أُمَسِّدُ الريشَ المُوَشَّى
وأستافُ الشميمَ ...
" أبو الخصيبِ " النخيلُ الرَّطْبُ
والسَّمَكُ
الهجيرُ
ونعمةُ الأنهارِ ...
بيتي
وبستاني الذي أخذوهُ حَرْبا ...
....
....
....
سأجرحُ زهر ةَ النّوّامِ
حتى أدوخَ مُهدهَداً
فأرى السماءَ التي خُطِفَتْ
وأسبحَ في مياهي ...

28.01.2011

خطّةٌ أوّليّةٌ لاغتيالٍ

اليومَ
أقتُلُ " موسى " بالرصاصِ ...
من الصباحِ تَفَحّصْتُ المسدّسَ
سِتّاً كانت الطلَقاتُ
قد دوّرتُها
دارتْ .
سأُطْلِقُها جميعاً ،
سوق أقتُلُ ، هادئاً ، موسى
وأضحكُ إذْ أراه يموتُ ...
موسى ليس يعرفُني
وهذا يجعلُ القتلَ المقرَّرَ أسهلَ ...
....
....
....
الطلَقاتُ ستٌّ
والمسدَّسُ جاهزٌ
ومُجَهَّزٌ بالكاتمِ الصوتيّ .
....
.........,........
....
مَن سيكونُ موسى؟
أهوَ مَن ألقاه في المرآةِ ؟
مَن أخشاه في المرآةِ ؟
كيف يموتُ موسى ؟

لندن 30.01.2011

مصرُ البهيّةُ أمُّنا جاءت إلى الساحة

إلى أحمد فؤاد نجم

مصرُ البهيّةُ ، أمّنا ، جاءت إلى الساحةْ
مصرُ البهيّةُ ، أشرعتْ للريحِ ، طَرْحتَها
ودارتْ رايةً ، بالفُلّ والبارودِ ، فوّاحةْ
مصرُ البهيّةُ ، أُمُّنا ، جاءتْ إلى الساحةْ
*
وتكونُ أنتَ
كما عهدتُكَ ، يا رفيقَ العُمرِ
محترقَ الخُطى ، في ساحة التحريرِ
ما أبهى النضالَ
وأقبحَ الراحةْ!
مصرُ البهيّةُ ، أمُّنا ، جاءتْ إلى الساحةْ .
*
إني أراكَ هناكَ
بالكوفيّةِ الرقطاءِ
والعَلَمِ الفلسطينيّ ...
بالحُلْمِ الذي غلغلتَهُ ، جيلاً فجيلاً ، في منابتِ مصرَ
يا أحمد فؤاد النجم ...
هاهي ذي القيامةُ آذَنَتْ :
مصرُ البهيّةُ ، أُمُّنا ، جاءتْ إلى الساحةْ !

لندن 30.01.2011

المَعاد

وادي بني عبد السلامِ ، إذا أوغلتَ فيه ، بلغتَ بغدادَ السلامِ

كأنني أهذي

كأني مُعْنِقٌ في الليلةِ الألفَينِ قبلَ الألْفِ

أُنصِتُ :

مَرْبَعي يَمَنٌ

ومُنتَظَري نِزارٌ ..

ثَمَّ في " نِزْوى " مدافعُ سوف تأخذني إلى الرّستاقِ

سوف أكون عند الدّكّةِ :

البحرُ القديمُ

وحانةُ البحّارةِ الحُكَماءِ

ثَمّتَ نسوةٌ متبرّجاتٌ ، قهوةٌ ، ودِنانُ خمرٍ برتغاليّ ...

وأسمعُ من بعيدٍ موكبَ السجناءِ ، في أغلالِهم ، يمضون نحو القلعةِ .

البِصريّ ، موسى البدر ، نوخذةٌ ، وفلاّحٌ ، يعيشُ مع الغلامِ

وكان يحكي لي طويلاً ، عن قرىً في شرقِ إفريقيّةَ :

الأحباش

مومباسا

وفندق زنجبار ...

عن اختيارِ القاتِ في هَرَرٍ

وعن جنّيّةٍ في البحرِ كادت أن تعانقَه عميقاً ...

كنتُ أتبعُهُ ، كأعمى ، في متاهته ... طريقِ البومِ

أسمعُهُ وأتبعُهُ إلى أن ينجلي الليلُ المهدهَدُ بالنخيلِ

ومرّةً غنّى :

هَلا ...

بيتي ، هَلا ...

بِنتي ، هَلا ...

وأريدُ " مَسقَطَ " ... يا هَلا !

بيتي هَلا ...

بنتي هلا!

وأريدُ " مَسقطَ " ... يا هَلا !

لندن 10.02.2011

نهارُ أربعاء

النهارُ اختبأتْ غزلانُهُ في وهدةِ الدّغْلِ . ومنذُ الصبحِ كانت عَتْمةٌ ليليّةٌ . لا صوتَ من طيرٍ ولا خطوةَ من طفلٍ ، ولا هفّةَ ثوبٍ . قطّةٌ مثقلةٌ في جانب السور أرَتْني أنّ ما أشهدُهُ ليس خرافيّاً . هو المشهدُ يومَ الأربعاءِ . النسوةُ اعتَدْنَ طوالَ العُمْرِ ما اعتَدْنَ : لقاء الشاي في القاعةِ حيث الشاي يبدو عكِراً ، نصفَ حليبٍ ، فاتراً ... سوف تجيءُ اليومَ فِكتوريا بما قد وعدتْ: كعكاً بلا طعمٍ و لا لونٍ . ستصطفّ الكراسي ، مثلَ ماكانت هنا ، منذ الثلاثيناتِ . حتى ورقُ الحائطِ منقوشٌ بما أبدعَه أهلُ الثلاثيناتِ . في الزاويةِ المذياعُ . لا صوتَ ، ففي الآذانِ وقْرٌ من دبيب العُمْرِ .مَنْ يأتي هنا في غفلةٍ كي يقلبَ المشهدَ؟

شيءٌ واحدٌ :

سيّارةُ الإسعافِ ...

لندن 16.03.2011

نشيدُ ساحة التحرير

في " ساحة تحرير" الله نقيمُ
نُقيمُ مساءَ صباحَ
نقيمُ صباحَ مساءَ
نقيمُ إلى أن نجعلَ من إسمِ عراقٍ وطناً .. .
بغدادُ المحروسةُ بالإسمِ الأعظمِ
بغدادُ المحروسةُ بالشعبِ
المحروسةُ بالعمّالِ
المحروسةُ بالطلاّبِ
المحروسةُ بالجنديّ (وإنْ دَرَّبَهُ الأميريكيّون) ...
بغدادُ المحروسةُ بالإسمِ الأعظمِ : بغداد
ستجعلُ من إسمِ عراقٍ وطناً
وطناً حُرّاً
وسعيداً ...

لندن 13.03.2011

النجم الثاقب

هل رأيتَ النجم ؟
إنْ لم ترهُ ...فاسمعْ ترَ النجمَ
ألم تحِسْ حفيفاً ، هَفّةً ، رجفةَ ريشٍ من جناح الجِنّ؟
أَم أنّكَ أحسستَ بوخزٍ داخلَ الأُذنِ ؟
تأمَّلْ ...
لا تَقُلْ شيئاً
و لا تنتظر العينينِ ،
(قد أُغمِضَتا منذ سنينَ)
الآنَ
وفي خطفةِ ريشٍ من جناح الجنّ
يأتي النجمُ !

لندن 17.03.2011

نخّاســو عُمان

إذا أتيتَ عُماناً أو سكنتَ بها يومَينِ ، فالشرُّ في المأتـى وفي السَّكَنِ
قومٌ بلا ذمَّةٍ ، لاشأنَ يؤنسُهم إلاّ حديثٌ عن الأسلابِ والـهُجُنِ
وعن أرِقّاءَ تاهوا في الرمالِ وعن سفينةٍ جَنَحَتْ في فَرْضــةِ اليَمنِ
ما كنتُ أدري وقد يمّمتُ ساحلَهم أني سأصحبُ نخّاسَينِ في زمـني
الحارثيَّينِ: عبدُ الله أوَّلُهُم أمّا محمّدُ فهو المبتلى...بِهَـنِ
شادا المخيّمَ في رملِ الوُهَيْبةِ فخّاً للنساءِ الجواري البيــضِ والفِتَنِ
لا بارَكَ اللهُ في أرضٍ تَسَيَّدَها خُلقُ الضباعِ وخَرقُ المنبِــتِ النتنِ
لو أُبْلِغَتْ شرطةُ السلطانِ أمرَهما لَنكّلَتْ بهما ، كَلْبَينِ في قَـرَنِ

برلين 25.03.2011

محاولةٌ في الهدوء

في المطار، ببرلين
كانَ الربيعُ بثاني صباحٍ
وكانت خدود الصبايا النحيفات تدفأ
أنت، كما لم تكن قبلُ، تجلس وحدكَ
لا تنتظِر ...
ولأقل لك ياصاحبي الجهم لا تنتظرها
لقد غرقت منذ شهرٍ
هنالك
حيث الرمال مخططة بالأفاعي.

برلين 2-4-2011

رباعية على الطويل

تسيرُ بعيداً أنتَ...
أبعدَ، ربما، من البرقِ
أو مما تريد الملائكُ

تسير بعيداً
لم تفكرْ للحظةٍ
بأن تتروى، آنَ ترغو المهالكُ

سعيداً، تقيمُ الليلَ
أسعدَ، فارهاً ، نهاراً
وتصغي:
تلكَ، تلكَ، السنابكُ

يليقُ بك التاجُ الذي ليسَ مثلَهُ
نضارٌ
و غارٌ
وهو دامٍ وشائِكُ!

على الطائرة – برلين – ستوكهولم 2–4–2011

مسوّداتٌ ســريعةٌ

اليوم ، سأكتبُ بِضعةَ أبياتٍ عاثرةٍ

....

....

....

مَثلاً أكتُبُ

غاباتُ استكهولم مغطاةُ العشبِ بثلجٍ رخوٍ حتى الان

أكتبُ

أمسِ قَطَعنا البحرَ المتجمّدَ كالآيسِ كريمْ لنبلغَ أكوا خَ الخزرج

أكتب

إني نمت أخيراً وعميقا بعد ثلاث ليال من سهد أعمى في شهر أعمى

أكتبُ

لن أغلقَ نافذتي عن ورقٍ يتناثرُ في الريح

أكتبُ

طنجةُ بيتي !

أكتبُ

إنّي أكرهُ رملَ بلادِ العربِ

و أفاعي الرملِ بأرضِ العربِ

أكتبُ

إنَّ عراقاً مَيْتا

يُولدُ مَيْتا

ويظلُّ عراقاً يولَدُ مَيْتا

حَتى القرنِ الثاني والعشرين.

استكهولم 04 04 2011

المحطّة السـويديّة

Sundbyberg

ثَـــمَّ كان القطارُ الوحيدُ الذي يبلغُ الأرضَ تلك التي لا نَرى

يبلغُ الأرضَ تلك التي لا تُرى

لا تُرى بالعيونْ

لا تُرى بالجنونْ

رُبّما كان لي أن أُغادرَني .....

ربما كان لي أن أغادرَ بيتي ، وما خلَّفَ العُمُرُ الجهْمُ لي من متاعْ

ربما سيكون الضَّياع

سبيلاً

إلى تلكمُ الأرضِ ...

....

....

....

مَنْ يا تُرى ستكونُ هنالكَ واقفةً بانتظاري ؟

04.04.2011

تَـنـاؤُباتٌ

الشمسُ التي غابتْ لم تُتِممْ ساعتَينِ . ربما لأننا لم نَعُدْ نهتمُّ بأنفسِنا . الشمسُ التي غابتْ لم تَقُلْ : وداعاً . ليس لأنها لن تعود . نحن قد لا نعود إليها وإلى النافذة المخطّطةِ بالستارة المعدنية.
ومن الغابةِ التي استضافتْ عاصمةً ، سوف يدخلُ ارتجاجٌ من قطاراتٍ سريعةٍ . قطاراتٍ ترمي بنا إلى حيثُ لا ندري أو نريدُ . ليس في الحقيبة التي تحمل رسمةَ حيوانٍ مفترسٍ زادٌ أو قصيـدةٌ .

الأخضرُ بنُ يوسفَ ، الجالسُ كالمقرورِ في غرفتِهِ ، في طرَفِ استكهولمْ ، لايعرفُ ما معنى الجلوسِ المَحْضِ.
حيناً يرتدي ما كان يوماً دِرعَه : بُرنُسَه الصوفَ ، وحيناً يسألُ البائعةَ الحسناءَ أن تُلبِسَه شالاً من الكشميرِ . لكنّ ثيابَ الأخضرِ الجالسِ في الغرفةِ ليستْ كالثيابِ . الأخضرُ الجالسُ يُلقي دُفعةً واحدةً كلَّ الذي
كان له ... أو ربّما ... كان عليهِ . الأخضرُ ، الآنَ ، طليقٌ مثلَ ما كانَ . ولن يجلسَ مقروراً هنا في غرفةِ استكْهولم.

البحرُ ليس بعيداً . البحرُ قريبٌ كالغابةِ . البحرُ قريبٌ من رئاتِنا التي أثقلَها استنشاقُ الرملِ المسمومِ .
لن نبحثَ عن السمكةِ الذهبِ . لن نبحثَ عن صندوقِ المُسـافرِ. لن نبحثَ عن اللؤلؤ . نحن
أسرى سلالةٍ تنقرضُ . نحن السّلالةُ التي تنقرضُ . أمسِ على الشاطيء الذي لم يَعُدْ فيه قراصنـةٌ
كانت قِطَعُ الثلجِ الطافيةُ تحملُ ما لم يَعُدْ يترقرقُ تحتَ قمصاننا : الشمسَ التي تُفْرِزُ قوسَ قُزَح.

الأخضرُ بنُ يوسفَ ، استنشَقَ ، في غرفتِهِ التي غابت تماماً ، ضوعَ غصْنٍ صندَلٍ . نفحةَ نَدٍّ ...
هَفّةً من ثوبِ مَنْ كان أحَبَّ . الأخضرُ استعملَ ما كانَ يُداريهِ قديماً : أن يَرى في لحظةٍ خاطفةٍ
ما لا يُرى . فلْيتركِ الغرفةَ واستكهولمَ ، والمبنى ، وهذا البحرَ ، والغابةَ ، والثلجَ الذي يطفو ...
ليخرجْ مرّةً واحدةً من جِلْدِهِ ، ولْيَندفِعْ في لُجّةِ الثورةْ !

استكهولم 05.04.2011

غرفة شيراز

أقولُ لشيرازَ :
أنتِ تعيشينَ في غرفةٍ واحدةْ
بضواحي المدينةِ ، حيث قطاراتُ برلينَ تهمدُ في آخرِ الخطِّ .
هل تكتفين بهذا ؟
هل تظلّينَ طولَ حياتكِ في الغرفةِ الواحدة؟
لا صديقٌ يؤانسُ وحشةَ عُمْرِكِ يا بِنْتَ سعدي
و لا من صديقةْ ؟
هل تَجَمّدَ عُمْرُكِ في اللحظةِ الصِّفْرِ ؟
هل أنتِ مثلي؟
ولكنني بين حينٍ وآخرَ أخرجُ من سجنِ هذا الزمانِ العجيبِ
وأركضُ في شارعِ الليلِ وامرأةً من عَدَنْ ....
أنا أقهَرُ هذا الزمَنْ !
فافتحي ، يا بُنَيّةُ أبوابَ غرفتِكِ الواحدة'
واخرجي ...
نتنسّمْ معاً ما أتانا بهِ ، اليومَ ، هذا الربيع !

استكهولم 06.04.2011

هاجسٌ

لستُ أدري كيف أفلَتُّ من استكْهولمَ ...
شيءٌ في هواء الغرفةِ ؟
الأشجارُ إذْ أُبصِرُها سوداً ؟
رُكامُ الثلجِ ؟
أسواقُ البلادِ الإستوائيّةِ ؟
أصحابي العراقيّون ؟
....
....
....
أحسستُ بأني ضائعٌ في ساحةٍ ليس لها إسمٌ
وأني جائعٌ
مرتجفٌ برداً ...
وأن الطائراتِ ابتعدتْ في لحظةٍ .
أني سأبكي ...
أنّ قبري جاهزٌ في ساحةٍ ليس لها إسمٌ
وأني ...
....
....
....
لستُ أدري كيف أفلَتُّ من استكهولم !

استكهولم 07.04.2011

خطوطٌ بالأسـود

لدقائقَ ، اندفعتْ عصافيرُ الحديقةِ بالتهاليلِ التي ارتفعتْ
ولبغتةٍ هدأتْ . كأنّ الغيمَ والشجرَ الرمادَ تضايَقا.
وكأنّ برداً من سهوبٍ في سيبريا يـزحفُ .
الصحراءُ ماثلةٌ على تلك الشواطيءِ حيثُ تختزنُ
السلاحفُ بَيضَها . قُلْ لي : أتعرفُ أين تَلقى البنتَ ؟
أعني بنتَ ميناءِ الشمالِ ؟
أليس من أملٍ بأن تأتي إلى استوكهولمِ؟
أن تأتي إلى جُزُرٍ بغيرِ زوارِقَ؟
الأوراقُ مازالتْ مؤجّلةً.
يظلُّ الدوحُ أسوَدَ ...
ثوبيَ الصوفيّ أسودَ ...
ريشةُ العصفورِ .... سوداء.

استوكهولم 7-4-2011

تفصيلٌ في الكآبة

هل تكونُ السماءُ مناوِئـةً ؟
ربّما ...
آنَ لا تَمْرُقُ الشمسُ فيها
آنَ لا يَمْرُقُ الطيرُ فيها
آنَ يبدو الشجرْ
حَجَراً ...
آنَ لا ترتدي امرأةٌ غيرَ معطفِها .
آنَ آوي إلى البردِ إذ يتقاسـمُني والسرير ...
....
....
....
السماءُ مناوِئةٌ !
حَسَناً !
إن ذلك عهدي بها ، منذُ أنْ خلَقَ اللهُ هذي السمـاء !

استكهولم 07.04.2011

أمْـنيـةٌ

أنتَ أغمضتَ عينَيكَ
أغمِضْهُما ...
ولْتَظَلَّ طويلاً ، كما أنتَ ، مسترخياً
مغْمَضَ المقلتَين .
إن كرسيّكَ الخيزُرانَ مُريحٌ ، أريكةَ غيمٍ .
فأغْمِضْ ...
لماذا تحاولُ إرهاقَ عينيكَ ؟
ماذا ترى لو فتحتَهما ؟
هل حننتَ إلى قريةِ النملِ
والذّلِّ
والقتلِ
والمرأةِ الباردةْ ؟
هل حننتَ إلى تيهِ يومِ الأحدْ
وجنونِ البلدْ
ونخيلِ البلدْ
(حيثُ يستهترُ الخائنون) ؟
هل حننتَ إلى الطلْقةِ الواحدةْ ؟
....
....
....
أنتَ أغمضتَ عينيكَ
أغمِضْهما .
هل سمعتُكَ تهذي :
سأُغْمِضُ عينيَّ حتى الأبدْ !

استكهولم 08.04.2011